الجمل النحوية لدى عبد الله بن فودي بين التنظير والتطبيق

Grammar Sentences at Abdullah bin Foudi between theory and application

د، علي مالمي

قسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو- نيجيريا

malami.aliyu@udusok.edu.ng

تاريخ الإيداع: 2018/08/28 تاريخ القبول: 2018/12/04

الملخص

تتناول هذه المقالة حديثا عن إحدى القضايا النحوية المهمة التي اختلفت فيها آراء النحاة، وتباينت في تحديدها وتنوعها وجهات نظرهم، وتلكم هي الجملة لدى واحد من فطاحل القطر الإفريقي، عبد الله بن فودي-عليه رحمة الله- المسمى بـ"علاَّمة السُّودان"، والذي أسهم بما لا يستهان به في العلوم العربية عامة، وفي النحو خاصة، فقد أفاد كاتب المقالة بحياة هذا العلامة بصورة موجزة، ثم تحدث عن فكرة الجملة لدى هذا العبقري، فتبين من خلال ذلك أن الجملة هي الألفاظ المركبة مفيدة كانت أو غير مفيدة، وأنها باعتبار التركيب الإسنادي ثلاثة أنواع؛ اسمية، وفعلية، وظرفية، وما عداها فهو ملحق إما بالاسمية، أو بالفعلية، وتناول- كذلك- تقسيم الجملة إلى كبرى وصغرى، كما تحدث عن الجمل التي لها محل والتي لا محل لها من الإعراب، وكل ذلك في ثنايا منظومتين قالهما في فن النحو؛ إحداهما مسماة بـ"البحر المحيط" والأخرى: "لمع البرق فيما لذي تشابه من الفرق". وأخيرا، حاول الباحث إجراء دراسة تطبيقية لنماذج من الجمل التي تم تناولها في هاتين المنظومتين في أبيات من قصائد هذا الشيخ نفسه، قصدا للجمع بين التنظير والتطبيق كما يشير إليه عنوان المقالة

ABSTRACT:

This article discusses one of the important grammatical issues in which the opinions and viewpoints of grammarians were different. This is the sentence (AL-JUMLAH) in the works of one of the patrons of the African region, that was

Abdullah bin Foduye, whose nicknamed (ALLMATUS SUDAN), means the highest Scholar in blacks continent- may God have mercy on him- because his positive contributions towards Arabic sciences generally, and Arabic grammar in particular. The author of the article highlights - briefly- the life of this scholar, and then talked about the idea of sentence in works of this genius. It turns out that the sentence is complex words useful or not useful, and that the sentence when constructed has three types: nominal, verbal, circumstantial, and so on it is also an extension of either the nominal or the verbal. The researcher also deals with the division of the sentence into a major and a minor. Moreover, he discussed the sentences that have an analysis position and that have not, all in two grammatical books written by the said scholar; the two books that written in poem system are (al-Sadr al-Muheed) and (Lam'u al-Barq female living tashabuhin min farq). Finally, the researcher tried to conduct an applied study of some models of the sentences in some literal poems of this same Sheikh, intended to combine theory and practice as indicated by the title of the article

مقدمة:

الحمد لله الهادي نحو الصراط المستقيم، المنزه عن الشريك والنظير في ملكه وصفاته، والصلاة والسلام على أفصح العرب لسانًا، المشرّح لكتاب الله المفصِّل لمجمله، وعلى آله وصحبه أولي البيان والإعراب، ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين.

أما بعد، فهدف هذه المقالة المتواضعة هو التركيز على الإسهام النحوي لدى واحد من عباقرة الإقليم الإفريقي عامة، والقطر النيجيري على وجه الخصوص؛ وذلكم هو الشيخ عبد الله بن فودي- عليه رحمة الله- بغيةَ اكتشاف بعض جهوده القيمة في إقامة صرح النحو العربي، ودعم أركانه تنظيرًا وتطبيقًا، ولا جرم أن شخصية مثل هذا الشيخ الذي جادت قريحته بما يربو على أربعة آلاف بيت-منظومة- في القضايا النحوية كما صرّح بذلك في البيت التالي:

أبياته زادت على آلاف * أربعة لمقصد توافي[i]

لتستحق أن تتبارى الأقلام في الكتابة عنها، وأن تتسابق الرجال إلى التنويه بمكانتها العلمية، وبخاصة علم النحو العربي.

هذا، ويَحِقّ للكاتب أن يشير إلى النقاط التي تتمحور فيها هذه العجالة، وها هي كالآتي:

1/ نبذة عن حياة الشيخ ابن فودي.

2/ فكرة الجملة لدى ابن فودي.

3/ نماذج تطبيقية للجمل النحوية لدى ابن فودي.

4/ الخاتمة.

5/ الهوامش.

6/ المصادر والمراجع.

نبذة عن حياة الشيخ ابن فودي

هو أبو محمد عبد الله بن محمد الملقب بـ(فودي) بن عثمان بن صالح.[ii] كان مولده في بلدة "طِغِلْ"،[iii] عام ثمانين ومائة بعد ألف (1180) إذ كان يَصْغُر شقيقه الشيخ عثمان[iv] بنحو اثني عشر عاما[v]، وكان مولد الشيخ عثمان هذا، سنة ثمان وستين ومائة بعد ألف (1168) هـ[vi]

ولد الشيخ عبد الله وترعرع في أسرة معروفة بالعفة والتقوى، والتمسك بشعائر الدين، وفي بيت حاز الشهرة العلمية من بين قبائل الفلاّن، ويؤيد ذلك كونُ هذا البيت الكريم منبعَ تفوُّقه العلمي، وكان والده محمد يلقب بـ"فودي"[vii]، أخذ القرآن الكريم عن والديه إلى أن بلغ ثلاث عشرة سنة، فبدأ يدرس فنون العلم من شقيقه عثمان بن فودي وقد صرّح بذلك هو بنفسه حين يقول: "ومن هنا حصل لي- بحمد الله- التبصر في الدين من فيضان نور الشيخ عثمان، ومن تواليفه المفيدة العربية والعجمية، حتى إنه لم يؤلف كتابًا إلا كنت أول من نقله عنه

غالبًا، وصحبته حضرًا وسفرًا ما فارقته مذ أنا يافع إلى أن حصل لي الآن قريبٌ من خمسين سنة، والحمد لله على ذلك.[viii]

ولم تكن جهود ابن فودي في تحصيل العلم محصورة في أسرته أو في بلده فحسب، بل جعل يجوب المدن والقرى ينهل من جهابذتها، حتى نال من العلم والثقافة ما بزَّ به معاصريه، فصار اسمه مسطورًا في سجل علماء الإقليم الإفريقي الذين لا ينساهم التاريخ.

وقد ألف هذا العبقري مصنفات عديدة في مجالات مختلفة، ومنها ما يلي:

- في النحو والتصريف:

1/ البحر المحيط.

2/ لمع البرق فيما لذي تشابه من الفرق. (كلاهما منظوم في النحو).

3/ الحصن الرصين مدينة التصريف، (منظومة في علم الصرف).

- في الأدب واللغة:

1/ له ديوان شعر في مختلف المناسبات، سماه "تزيين الورقات بجمع بعض مالي من الأبيات".

- في التفسير وعلوم القرآن:

1/ تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل.

2/ كفاية ضعفاء السودان، (تلخيص لضياء التأويل).

3/ المفتاح للتفسير. "منظومة في علوم القرآن"

4/ سلالة المفتاح.

5/ الفرائد الجليلة وسائط الفوائد الجميلة.

- في الفقه:

1/ ضوء المصلي، (منظومة في أحكام الصلاة).

2/ تقريب ضروري الدين.

- في السياسة:

1/ ضياء السياسات.

2/ ضياء الحكام.

- في التاريخ والسيرة:

1/ ضياء أولي الأمر والمجاهدين.

- في أصول الحديث:

1/ مصباح الراوي، (منظومة في علم مصطلح الحديث).

- في أصول الفقه:

1/ ألفية الأصول.

لحق الشيخ بالرفيق الأعلى في شهر الله المحرم سنة خمس وأربعين ومائتين بعد ألف (1245) هـ في مدينة "غُنْدُ".[ix]

فكرة الجملة لدى ابن فودي

- مفهوم الجملة:

كل من يتتبع المصنفات النحوية؛ قديمَها وحديثَها، تواجهه أقوال وآراء متضاربة حول تحديد مفهوم الجملة، ذلك بأنها مصطلح التبس أمره لطائفة من النحاة، فجعلوه مرادفا لمصطلح "الكلام"، لما بينهما من تشابه، فلم تكد هذه الطائفة تقف على الفروق الدقيقة المتواجدة بينهما، ومن هؤلاء أبو الفتح ابن جني فقد صدر منه هذا القول: "أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه. ثم قال: وهو الذي يسميه النحويون الجمل نحو: زيد أخوك، وقام محمد، وضُرب سعيد، وفي الدار أبوك، وصَهْ، ومَهْ، ورُوَيْد، وأُفّ.[x]

وكذلك الإمام الزمخشري يصرح بأن "الكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، وبعد أن مثل له بنحو:(زيد أخوك)، و(ضرب زيد)، (وانطلق بكر)، قال: وتسمى الجملة".[xi]

وهكذا يأتي عباس حسن- من المعاصرين- ليؤيد رأي سابقيه قائلا: "الكلام أو الجملة: ما تركب من كلمتين أو أكثر، وله معنى مستقل مفيد، مثل: أقبل ضيف، وفاز طالب نبيه، ولن يهمل عاقل واجبا".[xii]

ويتابعه د. عبده الراجحي حيث يقول: "الجملة في تعريف النحاة، هي الكلام الذي يترتب من كلمتين أو أكثر، وله معنى مفيد مستقل".[xiii]

إلا أن طائفة أخرى[xiv] قامت بجانب تلك الطائفة وفكّرت في الأمر، فكانت النتيجة أن وصلت إلى ما يفرق بين هذين المصطلحين، وشاء الله عز وجل أن ينتظم الشيخ عبد الله في سلك هؤلاء، فهو حينما أنهى الحديث عن الكلام وأتى للجملة قال:

قِيلَ تُرَادِفُ الْكَلَامَ وَالْأَصَحُّ * أَعَمُّ مِنْهُ الْقَيْدُ فِيهَا مُطَّرَحْ[xv]

وقال في نظم آخر مبينًا الفرقَ بين الكلام والجملة:

وَذَاكَ مِنْ هَذِي أَخَصُّ فِي الْأَصَحّ *** إِذِ اشْتِرَاطُ أَنْ يُفيدَ ذَا وَضُح

لاَ ذِي، لِقَــوْلِهِمْ بِهَــذِي جُمْلَه *** شَرْطٍ وَجُمْلَةِ الْجَوَابِ وَصِلَهْ

وَلاَ تُفِيدُ.....[xvi]

والملاحظ في الأبيات المتقدمة أن الشيخ عبد الله يصرح بوجود قولين للنحاة حول مصطلحي الكلام والجملة؛ هل هما مترادفان أم متباينان....؟ بيد أنه يميل إلى القول بتباينهما بدليل قوله: "والأصح أعم منه"، أي: القول الأرجح الذي يتماشى مع المنطق السليم هو أن الجملة أعم من الكلام، لأنه (الكلام) مقيد بالإفادة دونها، وقد عهد النحاة أن يقولوا: جملة الشرط، جملة الصلة، جملة الجواب، وهذه كلها غير مفيدة عندهم.[xvii]

- أقسام الجملة باعتبار التركيب الإسنادي:

لقد اختلفت وجهات نظر النحويين حول أنواع الجملة النحوية من حيث ما تتركب منه، فمنهم من يقول بتأصيل النوعين المتداولين في جميع كتب النحو؛ وهما الجملة الاسمية والفعلية،[xviii] ومنهم من يضيف إليهما الجملة الظرفية، فتصبح ثلاثة،[xix] وفريق ثالث يعترف بأربعة أنواع؛ فيزيد على الثلاثة السابقة "الجملة الشرطية"،[xx] بل من المعاصرين من قرّر أنواعًا أخرى غير ما تقدم،[xxi] ولكل مستنده فيما ذهب إليه. والشيخ ابن فودي كان من أصحاب التثليث، أي: القائلين بالأنواع الثلاثة الأُوَل، استمع إليه يقول:

اِسْمِيَّةٌ فِعْلِيَّةٌ ظَرْفِيَّة * بِالصَّدْرِ فِي الْفِعْلِيَّةِ الشَّرْطِيَّة

إِذْ مُسْنَدٌ وَمُسْنَدٌ لَهُ هُمَا * ذَا الصَّدْرِ أَلْقِ كُلَّ حَرْفٍ قُدِّمَا.[xxii]

فابن فودي – في هذين البيتين- يبين أن أنواع الجمل النحوية ثلاثة فقط، وهي: الجملة الاسمية، والفعلية، والظرفية، أما الجملة الشرطية فلا استقلال لها، وإنما هي مندرجة تحت الجملة الفعلية، لأنه لا عبرة بما يتقدم على المسند والمسند إليه، إذ لهما الصدارة في الكلام أصلاً، فقولك- مثلا- "إن قام زيد" جملة فعلية، بمنزلة "قام زيد"، فلا اعتداد بـ"إنْ" الشرطية.

وليس ابن فودي بدعًا في هذا الرأي، فقد سبقه إليه ابن هشام،[xxiii] ومستندهم في ذلك: أن قولك: - مثلا- "لعل زيدا منطلق" و "ما بكر قائما" يُعدّ من الجملة الاسمية نظرًا إلى الأصل (زيد منطلق) و (بكر قائم)،[xxiv] فقاسوا ذاك على هذا.

ولكن قد يُردّ على هذا بأن القول باندراج مثل "لعل زيدا منطلق" و "ما بكر قائما" تحت الجملة الاسمية- وإن كان معهودا متداولا بين النحاة- لكن قد يحتاج إلى إعادة النظر، ذلك بأن كلا من "لعل" و "ما" وما يجري مجراهما من النواسخ له وظيفته الدلالية، والصناعية، والمراد من الوظيفة الدلالية أنها كلما دخلت على جملة فإنها تُحَوِّلُها من مدلولها الأول إلى مدلول آخر لم يكن موجودا قبل دخولها، فقولك-مثلا- "زيد منطلق" يختلف معناه تماما عن معنى قولك: "لعل زيدا منطلق"، ذلك بأن الأول يفيد الإخبار عن انطلاق زيد فحسب لا غير، لكن لما دخلت عليها "لعل" انتقلت من إفادة مجرد الإخبار عن الانطلاق لتفيد معنى زائدا وهو "الترجي"، وبون شاسع بين المعنيين، أما من حيث الوظيفة الصناعية فإن المبتدأ قبل دخولها كان مرفوعا بالابتداء، والخبر مرفوعا بالمبتدأ فنقلت الأول إلى النصب وسُمّي اسمها و أبقت الثاني على رفعه

وسمي خبرها، وكذلك الشأن في "ما" فقبل أن تدخل على الجملة: "بكر قائم" كان معناها الإثبات والإيجاب، وبدخولها: "ما بكر قائما" تحول الأمر إلى النفي والسلب، وفرقٌ بين الإثبات والنفي، أو بين الإيجاب والسلب؛ لأنهما ضدان مفترقان أيما تفرق، وبالنسبة إلى الناحية الصناعية، فالاسم الأول في الجملة قبل أن تصحبها "ما" مرفوع بالابتداء، كما أن الثاني مرفوع بالمبتدأ، وبعد دخولها صارت هي العاملة فيهما معا؛ عملت في الأول الرفعَ اسما لها وفي الثاني النصبَ خبرا لها، وعلى هذا يمكن أن يقترح لكل من الجملتين السابقتين اسم يناسب وظيفتها الدلالية، فتسمى الأولى "جملة الترجي" والثانية "جملة النفي أو السلب".

وبناءً على ذلك تتضح استحالة إمكانية حمل الجملة الشرطية على هاتين الجملتين؛ لأن أساس هذا القياس هو إلغاء جميع الأدوات التي تتقدم على المسند والمسند إليه عند تسمية- أي جملة-، بصرف النظر عن خصائص هذه الأدوات الدلالية والصناعية، وكذلك "إنْ" نفسها لو حذفتها من الجملة الشرطية: (إن قام زيد أقوم) فقلت: "قام زيد أقوم" لأصبحت الجملة غير مفيدة للشرط، مع ما يكلفك هذا التركيب-قام زيد أقوم- من التأويل قبل أن يكون مستقيما لأنه لا بد من عد "زيد أقوم" اسما واحدا مركبا فيصبح فاعلا للفعل "قام"، وإذا لم يؤول اسم مركبا لم يعُد لهذا التركيب معنى مستقيم.

وهكذا سار ابن فودي على درب السابقين في تقسيم الجملة إلى: جملة كبرى، وصغرى، ويقصدون بالأولى الجملة الاسمية التي يأتي خبرها جملة، مثل: "زيد أبوه منطلق"، والأخرى الجملة الواقعة خبرا للمبتدأ، كجملة "أبوه منطلق" في المثال السابق.[xxv] ويقول الشيخ في ذلك:

وَمَا تَكُونُ خَبَرًا فَصُغْرَى * أَوْ جُمْلَةٌ خَبَرُهَا فَكُبْرَى[xxvi]

أما بالنسبة إلى إعراب الجمل فإن الشيخ لم يألُ جُهْدًا في الحديث عن كل من الجمل التي لها محل والتي لا محل لها من الإعراب، وفي ذلك يقول:

لَهَــا مَحَــلٌ خَبْــرًا مَفْعُــــولاً *** حَالاً وَمَا لَهَا أُضِيفَتْ تُولاَ

جَوَابَ شَرْطٍ جَازِمٍ إِنْ حَصَلَتْ *** بِالْفَاءِ أَوْ إِذَا فُجَاءَةٍ تَلَتْ

أَوْ مُفْــرَدًا أَوْ ذِي وَغَيْرٌ مَا جَلَتْ *** جَوَابَ شَرْطٍ دُونَ قَيْدٍ مَا خَلَتْ

أَوْ قَسَمٍ أَوْ عَـرَضَتْ أَوْ وَصَلَتْ *** أَوْ فَسَّرَتْ أَوْ بَدَأَتْ أَوْ ذِي تَلَتْ[xxvii]

يعني أن الجمل التي لها محل من الإعراب هي الواقعة خبرا، مثل: "زيد أبوه كريم" أو مفعولا به كالجملة المحكية بالقول في نحو: "قال محمد: الأستاذ حاضر"، أو حالاً، نحو: "جاء زيد يبتسم"، أو مضافا إليه، كقولك: "أحضر حين يحضر الأستاذ" أو جواب شرط جازم مقترنةً بالفاء، نحو: "إن ترتحل فإني مرتحل معك" أو "إذا" الفجائية، مثل:{ ♦❒◑ⓞ♌ 🖱❒🖂◎🗲〰⑩🖂♋ 🖎☺ⓞ♌ 🖂❒⑨●♦✎ 🖂♋ 🡅☠←♍🡅📠🡄①➔✍ ♦◑ⓞ♌ ☠🡅➔♎ ✂♦❶ⓞ♌◑ ③♦◑⑨🖂⑨🗲⑨❒🕮 }،[xxviii] أو الواقعةً نعتًا، حين وَلِيَتْ نكرةً، مثل: "جاء ولد يبكي"، أو التي وقعت تابعة لواحدة مما تقدم، كقولك: "زيد أخوه مهندس وأخته طبيبة"، أما التي لا محل لها فهي الواقعة جواب شرط جازم لكنها غير مقرونة بالفاء ولا بـ"إذا" الفجائية، نحو: "إن يقم زيد أقم"، أو جواب شرط غير جازم مطلقا، مثل: "إذا قام زيد أقوم"، وكذلك الواقعة جواب قسم مثل قولك: "والله لأُؤَدّبَنّ ولدي" ثم الجملة المعترضة، نحو: "محمد-رحمه الله- رجل كريم" والتفسيرية، مثل قولك: "أمرت الطلاب، أن ذاكروا دروسكم"، والابتدائية، كجملة: "زيد قائم" والتالية لإحداهنّ مثل: "زيد قائم وبكر جالس".

نماذج تطبيقية للجمل النحوية لدى ابن فودي.

لم تقف فكرة ابن فودي حول الجملة النحوية عند حدّ النظريات المتناثرة في منظومتيه فحسب، بل تعدَّتْ ذلك إلى تطبيق هذه الجمل واستخدامها مُوَظَّفَةً وفقًا لقواعد هذا الفن، ويُصَدِّقُ ذلك كلُّ من وُفِّق الاطلاع على بعض ما قاله هذا الشيخ من شعر أو نثر في مناسبات مختلفة، وها هي نماذج تطبيقية من بعض قصائده، يقول ابن فودي:

وَهِمَّتُهُمْ مُلْكُ الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا **** لِتَحْصِيلِ لَذَّاتٍ وَنَيْلِ الْمَرَاتِبِ.[xxix]

ففي هذا البيت أتى الشيخ بالجملة الاسمية "همتهم ملك البلاد..الخ" مكوّنة من المبتدأ والخبر، حيث إن مراده هنا هو الإخبار عن شدة ميل هؤلاء القوم الذين ينعى عليهم ركونهم إلى الدنيا وإفراطهم في حب السلطان والسيطرة على الناس، لا لشيء إلا ليحصّلوا مقاصدهم ويقضوا مآربهم، فللدلالة على تمكن هذه الصفة منهم عبّر بالجملة الاسمية، خبرها اسم مفرد،

فكأن هذه الأخلاق المذمومة-لسعيهم الحثيث من أجلها- أصبحت ثابتة فيهم ملازمة لهم في حلهم وترحالهم إلى حدّ لا يطمع منه رجوعهم عنها، فهو يبكي عليهم ترحما لعلهم يتنبهون فيعودوا إلى الجّادة. وليس بخافٍ أن الجملة الاسمية قديرة على أداء كل هذه المعاني، إذ من وظائفها الدلالة على اللزوم والثبوت، وخصوصًا إذا كان خبرها مفردا.

ويقول في مكان آخر:

وَمِنَّا رِجَالٌ لَمْ يَزَالُواْ بِصَفِّنَا *** وَهُمْ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللهَ فِي الْمَسَا[xxx]

والشاهد في البيت قوله "منا رجالٌ" جملة اسمية رُكّبت من الجار والمجرور (منا) بمنزلة خبر المبتدأ المقدم في محل رفع، و (رجالٌ) مبتدأ مؤخر وهو منكر؛ سوّغ وقوعَه نكرةً تقدمُ الخبر الظرف عليه، فإيثار الجملة الاسمية هنا للتنويه بقومه المجاهدين في سبيل الحق، والاعتراف ببسالتهم، وأوقع المبتدأ نكرة "رجالٌ" لتفيد أن رجولتهم ليس كرجولة غيرهم، فهي فريدة من نوعها حيث إنهم مهما اشتدت الحرب واشتبكت المعركة لا تزال أقدامهم ثابتةً، وصفوفُهم منتظمةً موحَّدة، لا يتقاعسون ولا يتزاحفون، حتى يُوفُوا بالوعد الذي أخذوه من الله، من نصرة دينه كيفما كلّفهم ذلك من المتاعب والمشقات، مبتغين الأجر منه سبحانه وتعالى، ومما زاد هذا الأسلوب جمالا ورونقا كونه مقتبَسًا من الذكر الحكيم:{من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا}.[xxxi]

وقال ابن فودي منوّهًا بانتصارهم على أعدائهم في إحدى المعارك:

تَشَتَّتَ جَمْعُهُمُ وَهُمُ عُطَاشٌ * حَيَارَى مِثْلُ غَوْغَاءِ الْجَرَاد

قَتَلْنَاهُمْ وَحُزْنَا كُلَّ مَالٍ * لَهُمْ تَرَكُوهُ مَنْثُورًا بِوَادِ[xxxii]

فالجمل "تشتت جمعهم" و"قتلناهم" و"حزنا كل مال" كلها فعلية، أُولاها مركبة من فعل لازم و فاعل، والأخريان مركبتان من فعل وفاعل ومفعول به، فقد آثر الشيخ استهلال هذه الجمل بالفعل، لأن هذه الأفعال هي النقطة الهامة لديه، ذلك بأن تشتُّت شمل الأعداء وقتلهم وحوز أموالهم- غنيمةً- من أعظم النعم التي يمن الله بها على المجاهدين في سبيله، فلذا سارع الشيخ إلى ذكرها حتى يكون ذلك من باب التحدث بنعم الله، وبخاصة أنه أنشأ هذه القصيدة

التي منها هذان البيتان- كما صرح بنفسه-[xxxiii] ليحرض بعض إخوته الذين امتنعوا عن الهجرة معهم ومكثوا مع الكفار، لعلهم إذا أتاهم خبر هذا الظفر والانتصار يتحركون ليلحقوا بهم.

ومن حسن استخدامه للجمل قوله:

فَإِنْ نِحْنُ آوَيْنَاهُ نَنْصرُ قَوْلَهُ * نَفُزْ وَنَحُزْ نُعْمَاهُ وَالْكُلُّ فَالِحُ

وَإِنْ قَدْ أَضَعْنَاهُ أَفَادَ بِغَيْرِنَا * مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ مَصَالِحُ[xxxiv]

إنّ ابن فودي- وإن كان من الذين لا يعترفون بالجملة الشرطية كنوع قائم برأسه- لكنه قد أجاد في استعمالها أيما إجادة، ذلك بأنه لما لاحظ من قبيلته عنادا وإباءً عن تلبية دعوة شقيقه الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله إلى دين الله، في حين يهرع إليه قوم أجانب يستفيدون من مواعظه، نبه إخوته أولئك على أنهم هم الأحق بالإسراع إلى هذه التلبية، وأنه لن ينجو أحد منهم بانتسابه إلى الشيخ ما لم يتمسك بشعائر دينه، فاستطاع بمهارته اللغوية أن يسوق كل ذلك في أسلوب شرط جذاب؛ حيث جعل من شرط فلاحهم ونيلهم النعيم الدائم الانضمام إلى أخيهم هذا ونصرته في إبلاغ الدعوة وتطبيق شريعة الله، {يأيها الذين ءامنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم}،[xxxv] وأنهم إذا رفضوه وامتنعوا من اتباعه يؤيده الله بجماعة لا نسب ولا قرابة بينه وبينهم.

وأحيانا أخرى يعبر ابن فودي بالجملة الاعتراضية ليُكْسِبَ كلامه جمالا وقوة، ولاسيما حينما يمدح شيوخه ليبرز أمام الجمهور قدرهم وقيمتهم، استمع إلى هذا البيت الذي ينوّه فيه بأستاذه وشقيقه، عثمان بن فودي:

وَكَأَنَّمَا أَنْوَارُهُ بَيْنَ الْمَلَا * أَنْوَارُ رَوْضٍ أَوْ مَنَابِرُ صَوْلَجِ[xxxvi]

فجملة: "بين الملا" معترضة بين المبتدأ (أنواره) وخبره (أنوار روض)، وإنما أتى بها ليفيد أن الله وهب ممدوحه أنوارا يمشي بها في الناس، وأن هذه الأنوار تزداد كثرةً وانتشارا كلما ظهر في جماعة من أشراف الأمة، وحينما يصعد المنابر المزخرفة بالجوهر والفضة، وفي ذلك إشارة إلى رفعة شأن هذا الممدوح، وعلو مكانته العلمية، وأن له هيبة تأخذ الألباب وتملأ قلوب الناظرين، وكل هذا وظيفة أداها التعبير بالجملة الاعتراضية.

وهكذا تتجلى مهارته اللغوية في توظيف الجملة الحالية عندما يقول:

فَخَلَّوْا لَنَا أَمْوَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ * عَلَى رَغْمِهِمْ، وَاللهُ يُعْطِي وَيَمْنَعُ[xxxvii]

البيت من قصيدة قالها يشكر الله فيها على نصرته لهم على أعدائهم في إحدى المعارك، فيصرح في هذا البيت بأن الكفار انهزموا وانقلبوا مدبرين، تاركين أموالهم ونساءهم اللاتي هن عزة أنفسهم، ثم يُعقِّب بجملة حالية "والله يعطي ويمنع" ليدل على أن الأمر كله بيد الله، فهو الذي سلب هذه الغنائم من الكفار ومنّ بها عليهم عن طريق الجهاد، فأنت ترى كيف أدت الجملة الحالية وظيفة ما كان لسواها القدرة عليها؛ وهي رفع توُّهم الافتخار والاعتزاز بالنفس الذي قد يتبادر إلى الأذهان من قول الشيخ "فخلوا لنا أموالهم ونساءهم على رغمهم.."، فأفادت أن الذي تولى هذا الانتصار على الأعداء الله، وإنما قدّر ذلك بواسطتهم.

الخاتمة:

تلك الصفحات المتقدمة عبارة عن عرض موجز لقضية الجملة النحوية لدى العلامة السوداني، عبد الله بن فودي-عليه رحمة الله- تناول فيها الكاتب حياة هذا العلامة بصورة مختصرة، وتلا ذلك الحديثُ عن فكرة الجملة عنده، فتبين من خلال ذلك أن الجملة هي الألفاظ المركبة مفيدة كانت أو غير مفيدة، وأنها باعتبار التركيب الإسنادي ثلاثة أنواع؛ اسمية، وفعلية، وظرفية، وما عداها فهو ملحق إما بالاسمية، أو بالفعلية، وتناول-كذلك- تقسيم الجملة إلى كبرى وصغرى، كما تحدث عن الجمل التي لها محل والتي لا محل لها من الإعراب، وكل ذلك في ثنايا منظومتين قالهما في فن النحو؛ إحداهما مسماة بـ"البحر المحيط" والأخرى: "لمع البرق فيما لذي تشابه من الفرق"

وأخيرا، حاول الباحث في هذه العجالة الإشارة إلى نماذج تطبيقية لبعض الجمل التي تم تناولها في هاتين المنظومتين في أبيات من قصائد هذا الشيخ نفسه، قصدا للجمع بين النظرية والتطبيق كما يشير إليه عنوان المقالة.

هـذا، والله الـسؤول أن يجـزي الـشيخ عبـد الله بـن فـودي بأحـسن جزائـه، ويُـسكنه رحـاب فردوسه.

الهوامش:

[i] - ابن فودي، عبد الله: *البحر المحيط نظم جمع الجوامع*، طبع ونشر الحاج عبد اليسار التجاني 1397 هـ- 1977م، ج2 ص:253

[ii] - ابن فودي: كتاب النسب، مخطوط بدار الوثائق صكتو، نيجيريا Amss 2/11/42 ، ص:2-3

[iii] - منطقة تقع في حكومة محلية غُدَباوا حوالي ثلاثين كيلو مترا، بشمال ولاية صكتو نيجيريا.

[iv] -هو عثمان بن فودي المشهور بابن فودي وبالمجدد لدين الله، ولد بـ"مَرَّة" الواقعة بلدة "مَادَاوَا" ولاية تَاوَ بجمهورية نيجر، نشأ نشأة طيبة، وبعد أن حصل له التفقه في الدين اتخذ الدعوة إلى دين الله وظيفة له، لما لاحظه في بلاده من كثرة الفساد وانتشار البدع الممقوتة، وكانت دعوته في أول المطاف عن طريق الوعظ بقصائده العجمية والعربية وبتواليفه المتنوعة، مثل كتاب "إحياء السنة وإخماد البدعة" و "أصول الدين"، ولكن السلطان وقتئذ- واسمه بَاوَ- جعل يكيد للشيخ وجماعته ويسومهم سوء العذاب، مما هيّأ لهم السبيل للدفاع عن أنفسهم بالسلاح، ففتح الله لهم وأقاموا دولة إسلامية خالصة في عام 1218هـ. وتوفي رحمه الله سنة 1233هـ ودفن بصكتو.

[v] - ابن فودي: *تزيين الورقات بجمع بعض مالي من الأبيات*، دار جوامع الكلم، القاهرة- جمهورية مصر العربية، ص:10

[vi] - ابن البخاري، جنيد (الوزير): *تأنيس الأحباء بذكر أمراء غند مأوى الأصفياء*، مخطوط بدار الوثائق صكتو، Ref No Amss :4\4\ 16، ص:5

[vii] - ومعناه باللغة الفلاتية: الفقيه.

[viii] - ابن فودي: *إيداع النسوخ فيمن أخذت من الشيوخ*، مخطوط بدار الوثائق صكتو، Ref No: Amss: 2/6/24 ص:1-3

[ix] - حصن يقع في ولاية كَبِ، إحدى الولايات الشمالية في نيجيريا.

[x] - ابن جني، أبو الفتح عثمان: *الخصائص*، تحقيق عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية بلا تاريخ، ج1 ص:31

[xi] - الزمخشري، جار الله محمود بن عمر: *المفصل في صنعة الإعراب*، تحقيق د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان- ط1 1420هـ - 1999م ص:33

[xii] - عباس حسن: *النحو الوافي*، ط10 دار المعارف بلا تاريخ، ج1 ص:15

[xiii] - الراجحي، عبده، الدكتور: *التطبيق النحوي*، مكتبة المعارف- الرياض- ط1 1420هـ - 1999م ص:85

[xiv]-كابن هشام في كتابه مغني اللبيب، وخالد الأزهري في موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب.

[xv] - ابن فودي: *البحر المحيط*، ج1 ص:14

[xvi] - ابن فودي: *لمع البرق فيما لذي تشابه من الفرق*، تحقيق الدكتور أبوبكر عبد الملك، 1989م، ص:113-114

[xvii] - ابن هشام، أبو محمد عبد الله: *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع- القاهرة- بلا تاريخ، ج2، ص:37

[xviii] - انظر- مثلا-: *أسرار العربية لابن الأنباري*، تحقيق: د. فخر صالح قدارة، دار الجيل – بيروت، لبنان، ط1، 1995م، ص:37

[xix] - كابن هشام في كتابه: *مغني اللبيب، ج1 ص:492*

[xx] - كأبي علي الفارسي وعبد القاهر الجرجاني، انظر: *المقتصد في شرح رسالة الإيضاح*، تحقيق الشربيني، شريدة،1430هـ- 2009م، دار الحديث، القاهرة، ج1 ص:232-236

[xxi] - مثل د. علي أبو المكارم فقد زاد الجملة الوصفية التي أدرجها النحاة المتقدمون تحت الجملة الاسمية، انظر كتابه: التراكيب *الإسنادية*، مؤسسة المختار، القاهرة- ط1 1428 هـ-2007م، ص:83 ود. محمد إبراهيم عبادة في كتابه: *الجملة العربية- مكوناتها- أنواعها- تحليلها*، ط4 1428هـ- 2007م، مكتبة الأدب-القاهرة أتى بستة أنواع من الجمل زائدة على ما تقدم؛ وهي: الجملة البسيطة، والممتدة، المزدوجة، والمركبة، والمتداخلة، والمتشابكة، وإن كانت هذه الجمل- في نظر الباحث- لا تخرج عن نطاق الأنواع السابقة.

[xxii] - ابن فودي: *البحر المحيط*، ج1 ص:14

[xxiii] - في كتابه: *مغني اللبيب*، ج1 ص:492

[xxiv] - *البحر المحيط*، ج1 ص:14

[xxv] - عبادة، محمد إبراهيم: *المرجع السابق*، ص:132

[xxvi] - *البحر المحيط*، ج1 ص:14

[xxvii] - *المصدر نفسه والصفحة*.

[xxviii] - الروم:36

[xxix] - *تزيين الورقات*، ص:88

[xxx] - *المصدر نفسه*، ص:82

[xxxi] - *الأحزاب*:23

[xxxii] - *تزيين الورقات*، ص: 66

[xxxiii] - المصدر نفسه، ص:62

[xxxiv] - المصدر نفسه، ص:40-41

[xxxv] - محمد:7

[xxxvi] - تزيين الورقات، ص:29

[xxxvii] - المصدر نفسه، ص:61

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

المطبوعة:

- أبو المكارم، علي: التراكيب الإسنادية، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1 1428 هـ-2007م
- الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد: أسرار العربية، تحقيق: د. فخر صالح قدارة، دار الجيل – بيروت، لبنان، ط1، 1995م،
- ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية بلا تاريخ.
- **ابن هشام**، أبو محمد عبد الله: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع القاهرة بلا تاريخ.

- **ابن فودي**، عبد الله، الشيخ: تزيين الورقات ببعض ما لي من الأبيات، جمهورية مصر العربية بلا تاريخ.
- :ولمع البرق فيما لذي تشابه من الفرق، تحقيق الدكتور أبوبكر عبد الملك، 1989م.
- :والبحر المحيط نظم جمع الجوامع في النحو، طُبع ونُشر على نفقة الحاج عبد الله اليسّار التجاني، 1397هـ- 1977م.
- الجرجاني، عبد القاهر: المقتصد في شرح رسالة الإيضاح، تحقيق الشربيني، شريدة،1430هـ- 2009م، دار الحديث، القاهرة
- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر: المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1 1420هـ - 1999م
- **عبادة**، محمد إبراهيم: الجملة العربية مكوّناتها- أنواعها- تحليلها، مكتبة الأدب-القاهرة- ط4 1428هـ- 2007م.
- عباس حسن: النحو الوافي، ط10 دار المعارف بلا تاريخ.
- الراجحي، عبده، الدكتور: التطبيق النحوي، مكتبة المعارف- الرياض- ط1 1420هـ - 1999م

المخطوطة:

- **ابن البخاري**، جنيد، الوزير: تأنيس الأحباء بذكر أمراء غُنْدُ مأوى، الأصفياء، مخطوط بدار الوثائق صكتو،16 \4\4: Ref No Amss
- **ابن فودي**، عبد الله، الشيخ: كتاب النسب، مخطوط بدار الوثائق صكتو، Ref NO: Amss. 2\11\42
- :وإيداع النسوخ من أخذت من الشيوخ، مخطوط بدار الوثائق صكتو،2/6/24 :Amss Ref NO: